

أمريكا وقتلها للمسلمين



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله،  
أما بعد:

فلم نزل نسمع في الأخبار بين الفينة والأخرى عن قصف من قبل الطائرات الأمريكية -بدون طيار- وقتلها للمسلمين من الرجال والنساء والأطفال وهدم بيوتهم عليهم، وعلى رقعة واسعة من الأرض تشمل عدة بلدان، وهذا الفعل يجري منذ سنوات، وقد قتل فيه وأصيب الآلاف، وأكثر هؤلاء الذين قتلوا أو أصيبوا هم أناس لا ذنب لهم -عند أولئك- لا من قريب ولا من بعيد، وهذا باعتراف المصادر الأمريكية نفسها، فقد نشر موقع «إكزامينر» الأمريكي معلومات استقاها من سجل جلسات الكونجرس، وتضمنت بعض التفاصيل الهامة بهذا الشأن قدمها عضو الكونجرس «دينيس كوسينيتش»، الذي كان منح إذناً بمخاطبة مجلس النواب الأمريكي لدقيقة واحدة، يوم الجمعة ١٥/١١/٢٠١٢، وقدم عضو الكونجرس إحصائية بالأرقام لعدد القتلى بسبب تلك الضربات الجوية الأمريكية، في كل من باكستان، واليمن، والصومال -إلى ذلك التاريخ-.

وبحسب البيان الذي أدلى به: فإن الطائرات الأمريكية -بدون طيار- قتلت في باكستان نحو (٣٣٧٨) شخصاً، وفي اليمن قتلت ما يصل إلى

(١٩٥٢) شخصًا، فيما بلغ عدد من قتلوا في الصومال حوالي (١٧٠) شخصًا. وقال: «نحن لم نعلن الحرب على أي من تلك الدول، بيد أن أسلحتنا قتلت المدنيين الأبرياء فيها»، ثم قال: «وإن البحث المحترم جداً يظهر بأن عدد الأشخاص المستهدفين الذين قتلوا من ذوي الشأن العالي تقدر نسبتهم المئوية بحوالي ٢٪ من إجمالي الإصابات».

قلت: ومع هذه الأرقام الكبيرة فإن أمريكا قد تسببت أيضًا بقتل مئات الآلاف من المسلمين غير هؤلاء، وهذا فقط في السنوات الأخيرة، حتى ذكر أنها قتلت أو تسببت في العراق وحده وخلال عشر سنوات من سقوط بغداد أكثر من مليون شخص، وهذا غير من قتلهم في أفغانستان وغيرها من البلاد. وهذا -والله تعالى أعلم- مصداق لما أخبر عنه رسول الله ﷺ من كثرة القتل في آخر الزمان، وأن ذلك من علامات الساعة، وإن ما أخبر عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كثير منه قد وقع، وما بقي سوف يقع بإذن الله تعالى، قال حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كما جاء في «الصحيحين» من حديث الأعمش عن أبي وائل عنه -: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه.

وفي رواية عند مسلم من حديث عدي بن ثابت عن عبدالله بن يزيد عن حذيفة أنه قال: أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة فما منه

شيء إلا قد سألته، إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة.

قلت: ومن جملة هذه الأشياء التي أخبر عنها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كثرة القتل في آخر الزمان، فقد أخرج مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج»، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «القتل القتل».

وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج»، قالوا: يا رسول الله أيها هو؟ قال: «القتل القتل».

وعنه أيضًا في «صحيح مسلم» من حديث يزيد بن كيسان عن أبي حازم: «والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل ولا يدري المقتول على أي شيء قتل»، وفي رواية عنده: فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الهرج. القاتل والمقتول في النار».

وعنه أيضًا عند أحمد من حديث عثمان بن عمر عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن سمعان: «لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق، ويتقارب الزمان، ويكثر الهرج»، قيل: وما الهرج؟ قال: «القتل»، - وإسناده جيد.

وفي «الصحيحين» من حديث الأعمش عن شقيق قال: كنت مع عبدالله

وأبي موسى رضي الله عنه فقالا: قال النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج، والهرج القتل».

قال ابن بطال رحمته: «وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراف قد رأيناها عياناً فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل». ا.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمته - بعد ذكره الأقوال في معنى قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يتقارب الزمان» - قال: «والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة». ا.هـ.

«والظاهر - والله أعلم بمراد رسوله ﷺ - أن ذلك إشارة إلى ما حدث في زماننا من المراكب الأرضية والجوية والآلات الكهربائية التي قربت كل بعيد، والمعنى على هذا: يتقارب أهل الزمان؛ كقوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف أنهم قالوا لأبيهم: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾<sup>(١)</sup>؛ يعني: واسأل أهل القرية وأصحاب العير. وكقوله ﷺ: «أيما قرية عصت الله ورسوله؛ فإن خمسه الله ولسوله»<sup>(٢)</sup>.

قلت: وأما تقارب الأسواق فقد تقاربت في زماننا هذا بأمرين:

(١) سورة يوسف، الآية (٨٢).

(٢) قاله الشيخ حمود التويجري رحمته في «إتحاف الجماعة».

الأمر الأول: بكثرتها واتصال بعضها ببعض الآخر في المدينة أو القرية الواحدة، وهذا خلاف ما كان عليه الأمر في ما مضى، فكان في الماضي ليس في المدينة إلا سوق واحد، وقد يقام في أيام معلومة بخلاف ما عليه الأمر اليوم فإنها مع كثرتها تجد أنها قائمة على مدار الساعة.

وأما الأمر الثاني: فإن العالم قد تقارب حتى أصبح كالقرية الواحدة، بل ويستطيع بواسطة الأجهزة الحديثة الآن أن يعقد الصفقات من كان في الشرق مع الذي في الغرب وهم جلوس في بيوتهم.

وبناءً على ما تقدم أقول -وبالله التوفيق-:

أولاً: أن هذا الفعل لا شك أنه غاية في الظلم والاستخفاف بالدماء، وإرهاب للناس، ونشر للفساد في الأرض، وإشعال للحروب بغير حق، وقد صور النبي ﷺ هذا الأمر أبلغ تصوير وسماه استخفافاً بالدم، فقد روى الطبراني في الكبير والأوسط من طريق موسى الجهني عن زاذان عن عابس الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يتخوف على أمته ست خصال: «إمرة الصبيان، وكثرة الشرط، والرشوة في الحكم، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونشو يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أفضلهم يغنيهم غناء». وهذا الحديث قد جاء من طرق أخرى، وله شواهد من غير حديث عابس الغفاري بنحوه، فالأمر كما قال ﷺ، ولذا يذكر

في وسائل الإعلام عندما يذكرون من قتل بسبب هذه الطائرات الأمريكية يقال عن هؤلاء المقتولين: «يُظن أنهم من الإرهابيين!!»، كما يسمونهم، وهذا ينطبق على ما أخبر به النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الاستخفاف بالدم، فهل يجوز قتل الإنسان وقتل من معه بمجرد الظن؟! فضلا عن استحقاق من يستهدفون أصلاً من المسلمين؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثانياً: أن كثيرا من الجهات -ومنهم بعض الدول التي يفعل بأرضها ذلك- قد أنكرت هذا الفعل على أمريكا وأكثرت من إنكارها، بل إن بعض الجهات الغربية أنكرت هذا الفعل، وجعلته من الظلم والتعدي.

ثالثاً: أن هؤلاء الذين وقع عليهم ذلك لهم الحق شرعاً وعقلاً أن يدفعوا عن أنفسهم هذا الظلم والحييف، بل يجب عليهم إذا كان لهم قدرة على ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ كُلُّ نَفْسٍ بِالَّذِي أَلْمَمَتْ لَهُمْ سَوَاعِدُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ (١)، وعليهم الاستنصار بالله ﷻ ودعاؤه لرفع هذا الظلم

(١) سورة الحج، الآيات (٣٩ - ٤١).



والتعدي عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧) ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا﴾ (٢)، وقد ثبت عند ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي من طريق الأعمش عن إبراهيم عن همام؛ ومن طريق الأعمش عن عمارة عن أبي عمارة؛ كلهم عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً عليه أنه قال: «ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق»، وهذا الزمان الذي ذكره حذيفة رضي الله عنه ينطبق على زماننا هذا.

رابعاً: أن عاقبة الظلم وخيمة، وغالباً ما تكون معجلة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٣)، وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عيينة بن عبدالرحمن الغطفاني عن أبيه عن أبي بكره رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم»، وقال الترمذي: صحيح.

(١) سورة محمد، الآية (٧).

(٢) سورة النمل، الآية (٦٢).

(٣) سورة هود، الآية (١٠٢).

قال أبو العباس ابن تيمية رحمته الله: «وأمر الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم تشترك في إثم؛ ولهذا قيل: إن الله يُقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويُقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم»، فالباغي يُصرع في الدنيا وإن كان مغفورًا له مرحومًا، وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت؛ وإن لم يكن لصاحبها من خلاق، ومتى لم تُقم بالعدل لم تقم؛ وإن كان لصاحبها من الإيثار ما يُجزي به في الآخرة». ١.١.هـ.

وليُعلم أن من سنن الله في خلقه أنه سبحانه يرفع الظلم عن المظلومين ويقتصّر من الظالمين، فما فعله أمريكا من قتل للناس بغير حق لن يستمر بإذن الله تعالى، وإن العاقبة للمتقين.

وعلى المسلمين كافة أن يسعوا لرفع الظلم عن إخوانهم، والدعاء لهم، والدعاء على من فعل بهم ذلك، فهذا من مقتضى الأخوة الإيمانية، والرابطة الإسلامية. وبالله تعالى التوفيق.

الجمعة - ١١/٢٨/١٤٣٤هـ.

